البصيرة هي كشّاف النور

المكان: مدينة قم

المناسبة: زيارة الإمام الخامنئي لمدينة قم

الحضور: الآلاف من الطلبة الجامعيين في محافظة قم

الزمان: 1389/8/4ش. 1431/11/18ق. 2010/10/26م.

4321

والحمد للّه ربّ العالمين والصّلاة والسّلام على سيّدنا ونبيّنا أبي القاسم المصطفى محمّد وعلى آله الأطيبين الأطهرين المنتجبين الهداة المهديّين المعصومين سيّما بقيّة اللّه في الأرضين، السّلام عليك يا فاطمة المعصومة، يا بنت موسى بن جعفر، سلام اللّه عليك وعلى آبائك الطّيّبين الطّاهرين المنتجبين المعصومين.

كأن اللقاء معكم أيها الشباب الأعزّاء، في أواخر هذا السفر الطويل نسبياً، هو انطلاقة جديدة وتجديداً للقوى. جوّ الشباب، مشاعر الشباب، فكر الشباب، روح الشباب ودوافعهم تلقي بظلالها على محيطها حيثما حلّت. إنّ أحد أسباب كون الجوّ العام للبلد، بتوفيق الله، جوٌّ مفعم بالعزم والإرادة والحماس والعقلانية، هو أنّ الشباب هم أكثرية عدد السكان. حسناً، هذه الجلسة أيضا هي جلسة للشباب بكل ما للكلمة من معنى.

بالنسبة لشباب (قم) فإن لي ذكريات معهم وكذلك عندي معلومات متعدّدة ووافرة عنهم. مع أنّ بين طلاب الجامعات الحاضرين هنا (يوجد شباب من مدن أخرى) إلا أنّ الشباب القمّي يشكّل الأكثرية الساحقة. قبل أن تحتدم المواجهات (ضد نظام الشاه) في عامي (1962 و1963م)، شاهدنا هنا آثار وعي وذكاء شباب (قم). أنا لا أنسى؛ ها هنا، في الشارع المقابل للحرم (حرم السيدة المعصومة) أو في الطرف المقابل للطريق، في شارع (أرك) كان يوجد (كشك) لبيع الصحف؛ كانوا يعلّقون الصحف هناك، بحيث كنّا نقف لنقرأ عناوينها عند رجوعنا من الدرس. عندما اضطرّت حكومة الطاغوت للتراجع عن مشروع (جمعيات الأقاليم والولايات) وتمّ إلغاء ذلك المرسوم. رأيت الشباب الذين كانوا يتجمّعون في أطراف شوارع الحرم وفي شارع (ارم) ـ والذين كنت غالباً ما أراهم ولم أكن أتصوّر أبداً أن يكونوا من المهتمّين أو المتابعين للأفكار والقضايا السياسية ـ قد تقدّموا نحونا قائلين: (نبارك لكم نجاح علماء الدين في مواجهة حكومة الطاغوت). الشباب القمّي الذين كانوا في الظاهر فقط حياديين وعلى هامش الأحداث، كانوا يباركون لنا ـ نحن، طلاب العلوم الدينية ـ هذا الانتصار، مع أنّه لم تكن بيننا وبينهم أي معرفة.

منذ ذلك الزمان كنت أفكّر وأتساءل: ما هي هذه الروح التي يتحلّى بها الشباب القميّون؟ في تلك الأيام لم يكن هناك طلاب جامعات في (قم)؛ كان الشباب من تلامذة المدارس وحتى من العاطلين عن العمل ـ حسّاسين بهذا الشكل تجاه مسألة الكفاح والنهضة وتحدّي علماء الدّين لحكومة الطاغوت.

فيما بعد، وعندما وقعت أحداث عام (1977)، هناك أظهرت (قم) وجهها الحقيقي بكل ما للكلمة من معنى، فبدأت (قم) بنفسها، بقيادة حركة الجماهير في الشوارع والتظاهرات في الساحات والتصدّي لمخالب النظام الحديدية والمتوحّشة. نزل شباب (قم) هؤلاء إلى الشوارع وأريقت دماؤهم في الساحات؛ وبالطبع فإنّ شباب (قم) قد ألحقوا الأذى والخسائر بأزلام النظام الطاغوتي أيضاً! حيرت فطنة شباب (قم) هذه و(شغبهم) أولئك الأزلام وأرهقتهم.

فيما بعد وعندما انتصرت الثورة، كانت (قم) دائماً في الخطوط الأمامية. فكان فيلق (علي بن أبي طالب) من الفيالق الناجحة في الخط الأمامي للدفاع المقدّس. في جميع الامتحانات الكبرى خرج (القميون) مرفوعي الرأس؛ الشباب كانوا في الخط الأمامي.

أنا أريد منكم يا شباب اليوم، يا من تتحلّون بالإحساس والفكر والشوق والحماس، أن تضعوا نصب أعينكم هذه الشهادة الحافلة بالافتخارات لأجيال الشباب القمّي منذ عدّة عقود وصولاً إلى زماننا هذا.

لقد أدّى القميّون دوراً أساسياً في الثورة وكذلك في الدفاع المقدّس؛ بعد انتهاء الحرب ـ وخاصّةً بعد رحيل الإمام العظيم وغياب شمسه عنّا ـ كان لشباب (قم) دورٌ أبرز كذلك؛ هذه نقطة هامة.

لاحظوا؛ إنّه ومن أواخر العقد الأول للثورة وما بعدها قام أعداء الثورة وجبهة العدوّ، بالتعاون مع خبراء إيرانيين، بوضع سياسة ـ لأن الخبراء غير

الإيرانيين لم يكونوا ليلتفتوا إلى هذه النقطة؛ فالذين كان الأعداء يشاورونهم، كانوا إيرانيين ـ وهذه السياسة تقتضي بأن يطلقوا أطروحة الثورة المضادّة من (قم). فكما أنّ الثورة تفجّرت من قم، أرادوا أن يوجدوا ثورة مضادّة من (قم) أيضاً. (قم) هي حوزة علماء الدين. الحوزة العلمية توجد في الظاهر في(قم)، لكن هذا الجمع الحوزوي منتشرٌ في جميع أنحاء البلاد. طالب العلم الساكن في (قم) هو صاحب نفوذ في مدينته وفي قريته. فهم مجموعون هنا من مختلف أنحاء البلاد. في الأيام التي يرجع فيها طلبة الحوزة إلى منازلهم للعطلة أو لأعمالٍ أخرى، فهذا يعني أنّ الحوزة تنتشر في طول البلاد وعرضها. إذاً، فكل فكر وفكرة وكلّ عزم وإرادة وحركة واتجاه في (قم) له امتدادٌ في الحقيقة إلى كل أنحاء البلاد؛ لم يكن الأجانب ليفهموا هذه المسألة؛ لم يكن الأمريكيون ليستطيعوا أن يحلّلوا هذه الحقيقة؛ يستطيع إيرانيٌّ، عارف بطبيعة المؤسسة العلمائية أن يفهم هذا. هذا ما علّموهم إياه، لذلك عملوا على تهيئة الأرضية لفتنةٍ في (قم). ولأنّي لا أرغب في ذكر أسماء، سأمرّ على الموضوع دون ذكر أسماء. في عامي 1979 و1980م.، صنع الناس في قم وكذلك في تبريز ملحمة؛ ليس فقط ملحمة النزول إلى الميدان والقبضات المحكمة، بل ملحمة معنوية، ملحمة الإدراك، ملحمة التحليل الصحيح. بعد رحيل الإمام حصل هذا الأمر في (قم) ولكن بشكل آخر. هنا أيضاً خطّط المخالفون والأعداء ـ خاصّة الأعداء خارج الحدود؛ فهم الأصل ـ لإيجاد أطروحة ثورة مضادّة في (قم). لو كان القميون غافلين، ولو كان شباب (قم) عاجزين عن التحليل السياسي، لو لم يمتلكوا الوعي اللازم، لوقع العديد من المشكلات والأزمات؛ هذه هي حقيقة

الأمر، هذا بيان لواقع الشباب في (قم).

إنّ خطابي بشكل أساسي في الكثير من المباحث، ومنها هذا البحث الذي أقدّمه اليوم، موجّه لكم أنتم أيها الشباب؛ لأنّ العمل لكم، والبلد كذلك لكم. نحن ضيوف لعدّة أيام. وقد انقضى دورنا ونصيبنا وزماننا. من الآن فصاعداً بدأ عهدكم؛ أنتم من يجب أن يدير هذا البلد؛ يجب أن توصلوا هذا الاقتدار الوطني والعزّة الوطنية، في المستويات المختلفة، إلى مرحلة الكمال، مستفيدين من الانجازات التي حصلت لحد الآن. هذا هو التكليف المتعلّق بكم في التاريخ. فلذلك من أخاطبه أنتم.

إذا قبلنا بأنّ جبهة العدوّ لديها تخطيط طويل الأمد لبلدنا وثورتنا، فإنّ علينا نحن أيضاً أن نمتلك تخطيطاً طويل الأمد. لا يمكن التصديق بأنّ جبهة أعداء الإسلام والثورة، ممّن يرون في النهضة الإسلامية تهديداً لهم، لا تمتلك تخطيطاً طويل الأمد؛ لا يمكن لأحد أن يصدّق هذا، إلا إذا كنّا شديدي السّذاجة وغافلين فسنصدّق. لا شك بأنّ لديهم برامج طويلة الأمد؛ كما أن هذه الحوادث التي تجري أحيانا في البلد، والأيادي الأجنبية واضحة فيها، ليست من الأشياء التي تحدث فجأة ولا يمكن أن تكون بنت ساعتها؛ لقد كانت برامجاً متوسطة المدى وطويلة المدى. لقد خطّطوا وبرمجوا وكانت هذه النتيجة. فهم لم يقرّروا في تلك الليلة أن يقوموا بهذا العمل ونفّذوه في اليوم التالي؛ لا، أنا قدّمت لبعض الأصدقاء قرائن وشواهد حول فتنة **2009**م. (الانتخابات الرئاسية وما تلاها)؛ تدلّ على أنّ التخطيط لها يرجع إلى عشر أو خمسة عشر سنة على

الأقل. منذ رحيل الإمام كان يوجد تخطيط؛ ظهرت آثار هذا التخطيط في العام: 1999م.؛ قضايا الحي الجامعي وغيرها من القضايا التي تتذكّرونها على الأغلب. لعلّ البعض لا يتذكّرها بدقة. القضايا التي حصلت في العام الماضي، كانت تجديد حياة لذلك المخطّط. لقد حاولوا أن يقوموا بعملهم مع مراعاة عامل الزمان وبعض الجوانب الأخرى؛ الحمد الله قد هزموا وفشلت مخطّطاتهم، كان يجب أن يهزموا ويفشلوا. إذن جبهة العدو لديها برنامج طويل المدى. هم لا ييأسون وإذا رؤوا أنّهم فشلوا اليوم، لا يكفّون أيديهم وينسحبوا من المعركة؛ كلا، إنهم يخطّطون للسنوات العشر المقبلة، للسنوات العشرين، للسنوات الأربعين المقبلة. إنّ عليكم الاستعداد.

نحن يجب أن نمتلك تخطيطاً طويل الأمد. وليس هذا مكان البحث في البرنامج الطويل الأمد ـ هناك مراكز فكرية، نوادٍ فكرية، مراكز سياسية وثقافية، تتابع هذه المسائل وينبغي أن تقوم بها ـ وهي تقوم بذلك حالياً ـ ما يمكن أن أقوله اليوم أنّ هناك أرضية أساسية للتخطيط الطويل المدى، ذكّرت بها مراراً، وأجد من الواجب أن أتحدّث حولها أكثر، ألا وهي مسألة اكتساب البصيرة.

في مجال البصيرة، أنا تكلّمت كثيراً في السنوات الماضية وقبلها؛ الآخرون قالوا أيضا الكثير؛ وقد لاحظت أن بعض الشباب قد قاموا بأعمال جيدة في هذا المجال. أنا أريد أن أؤكد مجدّداً على مسألة البصيرة. هذا التأكيد ينبع من أنّكم أيها الشباب أنتم المخاطبون وأنتم فرسان الميدان، العمل يقع على كاهلكم،

انطلقوا نحو الأعمال والتخطيط والبرمجة التي ترتبط بتحصيل البصيرة؛ قوموا بتأمين هذه الحاجة الماسة. البصيرة هي كشّاف النور؛ البصيرة هي البوصلة وهي الدليل إلى القبلة. إذا تحرّك الإنسان في الصحراء بدون بوصلة، فمن الممكن أن يصل بالصدفة إلى مكان ما، لكن الاحتمال ضعيف؛ أما الاحتمال الأكبر فهو أن يتعرّض الإنسان لمشقّاتٍ ومتاعب كثيرةٍ بسبب الضياع والحيرة. وجود البوصلة ضروريٌّ؛ وخاصّةً إن كان هناك عدوٌّ مقابل الإنسان. إن لم يكن معكم بوصلة، قد تجدون أنفسكم تحت محاصرة العدو وليس معكم العدّة اللازمة والتجهيزات المطلوبة للمواجهة؛ عندها لن تستطيعوا تحريك ساكنٍ. البصيرة إذن، هي البوصلة وكشّاف النور. في الفضاء المظلم البصيرة هي المنّور. البصيرة تدلّنا على الطريق.

لتحقيق النجاح الكامل، البصيرة هي شرطٌ لازمٌ ولكنّها ليست شرطاً كافياً. بتعبيرنا نحن طلّاب العلوم الدينية، هي ليست علّة تامّة للنجاح. هناك بصيرة يحصل عليها الإنسان من خلال اختياره للرؤية الكونية وفهمه الأساسي للمفاهيم التوحيدية وعبر نظرته التوحيدية إلى عالم الطبيعة. الفرق بين النظرة التوحيدية والنظرة المادية هو في التالي: في النظرة التوحيدية، هذا العالم هو مجموعة منظّمة، مجموعة ذات قانون، طبيعة هادفة؛ نحن أيضاً كجزء من الطبيعة، وجودنا، خلقنا وحياتنا لها هدف؛ لم نُخلق عبثاً في هذه الدنيا. هذه لازمة النظرة التوحيدية. معنى الاعتقاد بوجود إله عالم وقادر هو أنه حينما فهمنا أن لدينا هدف، ننهض للبحث عن ذلك الهدف. هذا البحث بحدّ ذاته هو جهد مؤمّل. نسعى لكي نجد ذلك الهدف. بعد أن نجده ونفهم ما هو الهدف،

يبدأ السعي للوصول إليه. في هذه الحالة، فإن كل حياة الإنسان تصبح سعياً؛ سعيٌ هادف ومعروف الاتجاه. من ناحيةٍ أخرى نعرف أيضاً بأنه عبر النظرة التوحيدية، كل نوع من السعي والمجاهدة في سبيل الهدف، يوصل الإنسان حتماً إلى نتيجة. هذه النتائج ذات مراتب. وهي توصل الإنسان يقيناً إلى النتيجة المطلوبة. وعندها فلا معنى لشيءٍ باسم اليأس والضياع والاكتئاب في حياة الإنسان. عندما تعرفون بأن وجودكم وخلقكم وحياتكم وتنفّسكم يرتبط بتحقيق هدف فستتحرّكون وراء هذا الهدف، وستبذلون الغالي والنفيس للوصول إليه. إن هذا السعي نفسه له أجرٌ وثواب عند الله تعالى والذي هو خالق الوجود. عندما تصلون إلى أية نقطة فإنكم في الواقع قد وصلتم للهدف. في النظرة الإسلامية، الخسارة والضرر لا يمكن تصوّرهما بالنسبة للمؤمن. حيث قال «ما لنا إلا إحدى الحسنيين»، واحدة من اثنتين كلاهما أحسن؛ إما أن نموت في سبيل الله، وهذه حسنى؛ وإما أن نزيل العدو من الطريق، وهذه حسنى أيضاً. فهنا لا وجود للضرر أبداً.

في النقطة المقابلة تماماً تقع النظرة المادية. تعتبر النظرة المادية أن خلق الإنسان ووجوده في العالم لا هدف له؛ فالإنسان فيها لا يعرف لماذا جاء إلى الدنيا. بالطبع، هو يحدّد لنفسه أهدافاً في الدنيا ـ كأن يصل للمال، أن يصل للحب، أن يصل للمنصب، أن يصل للذّات الجسدية أو اللذات العلمية؛ يمكنه أن يحدّد لنفسه أهدافاً كهذه ـ لكن أي منها ليس هدفاً طبيعياً، ليس ملازماً لوجوده. عندما لا يكون هناك اعتقاد بالله؛ فالأخلاقيات أيضاً تصبح بلا معنى؛ العدالة بلا معنى؛ ولا معنى لشيء سوى اللذة والنفع الشخصي. إذا اصطدمت

قدم الإنسان بحجر وتأذّى في طريق الوصول إلى نفعه الشخصي يكون قد تضرّر وخسر. إن لم يصل للربح، إن لم يستطع أن يسعى، يأتي دور اليأس والانتحار وغيرها من الأعمال غير المعقولة. لاحظوا إذن الفرق بين النظرة التوحيدية والنظرة المادية، بين المعرفة الإلهية والمعرفة المادية. هذه هي أهم ركائز البصيرة.

عندما يدخل الإنسان في صراع على أساس هذه النظرة، فإن هذا الصراع هو جهد مقدس؛ إذا قام بحرب مسلّحة فإن الأمر كذلك. الصراع في الأصل ليس قائماً سوء على الظن وسوء النوايا. الصراع يهدف إلى أن تصل الإنسانية ـ وليس فقط هذا الإنسان نفسه ـ إلى الخير والكمال والرفاهية والتكامل. بهذه النظرة تكتسب الحياة وجهاً جميلاً وتصبح الحركة في هذا الميدان الواسع عملاً لذيذاً. يزول تعب الإنسان بذكر الله تعالى وذكر الهدف. هذا هو المرتكز الأساسي للمعرفة؛ المرتكز الأساسي للبصيرة. هذه البصيرة هي أمرٌ مطلوبٌ ولازمٌ جداً؛ هذا ما يجب أن نوفّره في أنفسنا. في الحقيقة فإن البصيرة هي أرضية جميع الجهود والمساعي الإنسانية في المجتمع.

هذا مستوىً من مستويات البصيرة.

فضلاً عن هذا المستوى الواسع والطبقة العميقة للبصيرة، في الحوادث المختلفة أيضاً من الممكن للإنسان أن يتحلّى بالبصيرة أو يفقد البصيرة. هذه البصيرة بأي معنى؟ ما معني أن يحصل على البصيرة؟ كيف يمكن أن يجدها؟ هذه البصيرة الواردة في الروايات والتي تمّ التأكيد عليها أيضاً في كلمات أمير

المؤمنين، تعني بأن يتدبّر الإنسان في الحوادث التي تجري من حوله والحوادث التي تجري معه وترتبط به؛ يتدبّر ويسعى أن لا يمرّ على الحوادث مرور الكرام وبشكل سطحي كالعوام؛ وبتعبير الإمام أمير المؤمنين، أن يعتبر: «رحم اللَّه امرئ تفكّر فاعتبر»[1]، يفكّر وعلى أساس هذا الفكر يعتبر ويأخذ العبر. أي أنّه يزن المسائل بالتدبر: (اعتبر فأبصر). بهذا الميزان يجد البصيرة. النظر الصحيح إلى الحوادث، التدبّر فيها، يوجد البصيرة عند الإنسان. أي أنّه يوجد قدرة على الرؤية والتبصر لدى الإنسان ويفتح عينيه على الحقيقة.

يقول أمير المؤمنين عليه السلام في موضع آخر:

(فإنّما البصير من سمع فتفكّر ونظر فأبصر)، البصير هو الذي يسمع، لا يغلق أذنيه؛ وعندما يرى يفكّر، لا يمكن للإنسان أن يقبل بأمر أو يرفضه بمجرّد سماعه؛ ينبغي التفكّر. «البصير من سمع فتفكّر ونظر فأبصر»[2]، ينظر ولا يغلق عينيه. مشكلة الكثير من الذين زلّت أقدامهم وهووا في منزلق عدم البصيرة، هي أنّهم نظروا ثم أغلقوا أعينهم عن الحقائق الواضحة. على الإنسان أن ينظر؛ وعندها سيرى. في الكثير من الأوقات نحن لسنا مستعدّين أن ننظر لبعض الأشياء. الإنسان يرى بعض المنحرفين الذين يرفضون أن ينظروا أصلاً. الآن لن نتوقف عن العدو العنيد ـ فيما بعد سأتحدّث عنه؛ ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا

(1) نهج البلاغة، الخطبة: 103.

(2) نهج البلاغة، الخطبة: 153.

أَنْفُسُهُمْ ظُلْماً وَعُلُوًّا﴾[1] ـ هناك البعض ممن عندهم دافع وسبب للعداء ويواجهون بعناد؛ حسناً هؤلاء أعداء؛ بحثنا الآن ليس حولهم، البحث هو عنّي وعنكم حيث أننا في الساحة. إن أردنا أن نتحلّى بالبصيرة علينا أن نفتح أعيننا، أن نبصر؛ هناك أشياء يمكن رؤيتها. إذا تجاوزناها بشكل سطحي ولم نلتفت إليها، نكون قد أخطأنا بالطبع.

أضرب لكم مثلاً من التاريخ. في حرب صفّين كان جيش معاوية قاب قوسين أو أدنى من الهزيمة؛ الحيلة التي استعملوها للنجاة من الخسارة الحتمية هي رفع المصاحف على الرماح والتقدّم إلى وسط الميدان؛ بما معناه أن القرآن هو الحاكم بيننا وبينكم فتعالوا نتحاكم إليه ونطبّق ما يقوله القرآن، حسناً، هذا عمل جيد عند العوام. البعض، ممّن عُرفوا فيما بعد باسم الخوارج وشهروا سيوفهم بوجه أمير المؤمنين، كانوا في جيش أمير المؤمنين وشاهدوا المصاحف فوق الرماح، قالوا بأنها فكرة جيدة؛ فهؤلاء لا يطلبون أمراً سيئاً؛ بل يقولون تعالوا إلى القرآن ليحكم بيننا، هنا كانت الخديعة؛ هنا تزلّ قدم الإنسان لأنّه لم ينظر إلى ما تحت قدمه. الناس لا يسامحون الذي انزلق وسقط أرضاً إن كان لم ينظر إلى ما تحت قدميه. هؤلاء لم ينظروا. لو كانوا يريدون أن يعرفوا الحقيقة، الحقيقة كانت أمام أعينهم. هذا الذي يدعوهم للرضى بحكم القرآن هو شخص خرج لقتال الإمام المنتخب المفترض الطاعة! كيف يكون معتقداً بالقرآن؟ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، عدا عن كونه بالنسبة لنا

(1) سورة النمل، الآية: 14.

منصوص عليه ومنصوب من قبل الرسول، فإن من لا يقبل بذلك، بلا شك يقبل بأن جميع الناس قد بايعوا الإمام علي عليه السلام بعد وفاة الخليفة الثالث، وبالتالي فإنهم يقبلون بخلافته؛ فقد صار إماماً وحاكماً مفترض الطاعة في المجتمع الإسلامي.

من الواجب على جميع المسلمين أن يتصدّوا لكل من يحاربه ويشهر السيف بوجهه. حسناً، إن كان هذا الذي رفع المصحف على الرماح، يعتقد حقاً بالقرآن، فالقرآن يقول له لماذا تحارب عليّاً؟

يجب عليه أن يرفع يديه عالياً ليقول نحن لن نقاتل؛ يضع سيفه في غمده. هذا ما كان يجب أن يراه هؤلاء، ما كان يجب أن يفهموه. هل كان هذا الأمر معقداً؟ هل كان معضلاً لا يمكن فهمه؟ لقد قصّروا. هذا يصبح فقدانا للبصيرة. لو أنّهم تدبّروا وتأمّلوا قليلاً؛ لكانوا فهموا هذه الحقيقة؛ لأنهم هم أنفسهم كانوا أصحاب أمير المؤمنين في المدينة؛ وكانوا قد شاهدوا أن بعض رجال معاوية كان مؤثّراً في قتل عثمان؛ ساعدوا في قتل عثمان؛ في الوقت نفسه رفعوا قميص عثمان طلباً للثأر. هم من قام بهذا العمل، هم مقصّرون، لكنّهم كانوا يبحثون عن المقصّر. انظروا، عدم البصيرة هنا ناشئ عن عدم الدقّة؛ عدم النظر؛ عن إغماض العينين أمام حقيقة واضحة.

في قضايا الفتنة الأخيرة هذه، أخطأ البعض بسبب عدم البصيرة. حصل ادّعاءٌ بالتزوير في انتخابات حاشدة وعظيمة؛ حسناً، طريقه واضح. إذا اعتقد أحدٌ أنّ هناك تزوير، عليه أولاً أن يستدلّ، أن يقدّم دليلاً على وجود التزوير؛

وبعد أن يقدّم دليلاً أو لا يقدّم، القانون هو الذي يحدّد طريقة المتابعة؛ يمكنه أن يتقدّم بشكوى. ينبغي التحقيق وإعادة النظر؛ يأتي أشخاصٌ محايدون لينظروا كي يتبين وجود التزوير أو عدمه؛ هذا هو سبيله الوحيد. إن لم يرضخ شخصٌ للقانون ولم يقبل به ـ مع أني ساعدت كثيراً: فقد قمت بتمديد المهلة القانونية؛ حتى قلنا لهؤلاء فليأتوا ويعيدوا فرز الأصوات أمام عدسات التلفاز ـ يكون قد تمرّد .... [الجمهور يردد شعارات] يرجى الانتباه. ليس الهدف أن نعطي رأينا بالقضايا الماضية؛ نحن هنا نضرب مثلاً. إذن، اكتساب البصيرة ليس بالأمر الصعب، إذا نظرتم فسترون أنّ هناك طريقاً معقولاً وقانونياً والذي يتهرّب منه ويقوم بعمل يسبّب الأضرار للبلد، ضربة للمصالح الوطنية، حسناً، من الواضح أنّ هذا الشخص مدان بالمعايير العادلة وغير المتحيزة؛ هذا شيءٌ واضح. فلاحظوا إذن؛ إن المطالبة بالبصيرة ليست مطالبة بأمرٍ صعب وغير ممكن. اكتساب البصيرة ليس أمراً شاقاً. اكتساب البصيرة يحتاج فقط إلى الحدّ الذي لا يكون فيه الإنسان أسيراً للمصائد والشباك المختلفة من الصداقات والعداوات وأهواء النفس والأحكام المسبقة. يكفي الإنسان هذا الحدّ بأن ينظر ويتدبّر ليجد الحقيقة. المطالبة بالبصيرة هي هذه المطالبة بالتدبّر؛ النظر وليس أكثر. وعلى هذا يمكن أن يفهم بأن تحصيل البصيرة هو عمل الجميع؛ الجميع يمكنهم إيجاد البصيرة. البعض يقعون في الغفلة، ليس بسبب العناد ولا بسبب سوء النوايا. مع أن الإنسان يحب نفسه كثيراً ولكنّه أحياناً يغفل للحظة أثناء قيادة السيارة، لحظة من السهو، من غلبة النعاس يعقبها خسارة لا تعوّض. العثرات وزلّات الأقدام التي تحصل في هذا المجال لا يمكن عدّها ذنوباً؛

ولكن إذا استمرّت وتتابعت، فهذا إذاً فقدان للبصيرة، وهذا ليس مقبولاً بعد الآن.

حالياً، أساس عمل العدوّ في الحرب الناعمة، هو إثارة الغبار في الجو السياسي للبلد؛ انتبهوا إلى هذا. اليوم أهم عمل للعدوّ هو هذا. المطّلعين والمتابعين للعمل السياسي وقضاياه، يعرفون بأنّه حالياً قدرة القوى العظمى لا تكمن في قنابلهم النووية ولا في الثروات المكدّسة في مصارفهم، بقدر ما تتجلّى في قوّتهم الإعلامية، في صوتهم العالي الذي يصل إلى كل مكان. هم يتقنون جيداً الأساليب الإعلامية. وللإنصاف لقد تطوّروا في العمل الإعلامي. لقد تعلّم الغربيون اليوم ـ سواء في أوروبا أو في أمريكا أساليب حديثة ومتطورة جداً في الإعلام؛ نحن ما زلنا في الخلف في هذا المجال. أحد أهم أعمال هؤلاء أنّهم محترفو إعلام. ينبغي الالتفات إلى هذه النقطة، ينبغي مراقبة هذا الأمر. تكليف شبابنا اليوم في هذا المجال ثقيل، ليس المطلوب منكم فقط أن تعرفوا أنتم الحقيقة، بل إنّ عليكم أن تجعلوا جوّكم ومحيطكم الخارجي ذا بصيرة أيضاً وأن توضحوا القضايا للآخرين.

هناك نقطة أساسية وهي أن الباطل لا يظهر دائماً أمام الإنسان بشكل واضح وجليّ ليعرف الإنسان بأن هذا هو الباطل؛ غالباً ما ينزل الباطل إلى الميدان بلباس الحق أو بجزءٍ من الحق.

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «إِنَّمَا بَدْءُ وُقُوعِ الْفِتَنِ أَهْوَاءٌ تُتَّبَعُ، وَأَحْكَامٌ تُبْتَدَعُ، يُخَالَفُ فِيهَا كِتابُ اللهِ»، إلى أن يصل إلى هنا: «فَلَوْ أَنَّ الْبَاطِلَ خَلَصَ مِنْ مِزَاجِ

الْحَقِّ لَمْ يَخْفَ عَلَى الْمُرْتَادِينَ، وَلَوْ أَنَّ الْحقَّ خَلَصَ مِنْ لَبْسِ البَاطِلِ انْقَطَعَتْ عَنْهُ أَلْسُنُ الْمُعَانِدِينَ»[1]، أي أن الحق والباطل لو كانا صريحين واضحين وسط الميدان لما بقي مجال للاختلاف، فالجميع يحب الحق ويكره الباطل؛ «وَلَكِن يُؤْخَذُ مِنْ هذَا ضِغْثٌ، وَمِنْ هذَا ضِغْثٌ، فَيُمْزَجَانِ! فَهُنَالِكَ يَسْتَوْلِي الشَّيْطَانُ عَلَى أَوْلِيَائِهِ»، يخلط جزءٌ من الحق مع جزءٍ من الباطل فلا يكونان متمايزين وعندها يشتبه الأمر على المخاطَبين؛ يجب مراقبة هذا بشكل جيد. اليوم، في الإعلام العالمي، كل اعتمادهم على هذا الأمر؛ أن يظهروا الحقائق في بلدكم ومجتمعكم ونظامكم الإسلامي بنحوٍ معاكس ومخالف للواقع؛ إمكاناتهم الإعلامية كثيرة وكبيرة، وهم مشغولونَ دائماً. بالطبع، هناك أيضاً أشخاصٌ في الداخل، عمداً أو سهواً، يكرّرون كلام الخارج ويروّجونه.

حسناً، توجد نقطة هنا وهي: أن البصيرة تكون أحياناً موجودة ولكن الخطأ والاشتباه يستمرّان في الوقت نفسه؛ حيث قلنا أنّ البصيرة ليست شرطاً كافياً للنجاح، هي شرط لازم. يوجد هنا عوامل أخرى؛ إحداها مسألة عدم وجود العزم والإرادة. البعض يعرف الحقائق، لكنّه يقرّر أن يتّخذ موقفاً؛ لا يقرّر أن يصرّح بما يجب؛ لا يقرّر أن يقف مع الحق وفي موقف الدفاع عن الحق. طبعاً، هناك أسباب لعدم اتّخاذ القرار: طلب العافية أحياناً، هوى النفس أو الشهوات أحياناً أخرى، إتباع المصالح الشخصية وأحياناً العناد واللجاجة. حيث أنّ أحدهم يتفوّه بكلمة ويريد أن يبقى ملتزماً بكلمته، فلو تراجع فإنّ البعض

(1) نهج البلاغة، الخطبة: 50.

سيعيرونه ويشمتون به. وقد ورد في رواية: «لعن الله اللجاجة». بعض الأشخاص مطّلعون على الوقائع ويعرفون الحقائق؛ لكنّهم في الوقت نفسه يساعدون الاتّجاهات المخالفة، اتّجاهات العدوّ. الكثير من الذين ندموا (على ثوريتهم وجهادهم!) وانقلبوا على أعقابهم، كانوا في يوم من الأيام ثوريين بشكل إفراطي متشدّد؛ ولكنّكم اليوم ترونهم قد وقفوا في النقطة المعاكسة تماماً وانشغلوا بخدمة أعداء الثورة! السبب هو تلك العوامل؛ الأهواء النفسانية، الشهوات النفسانية، الغرق في الطلبات المادية، والعامل الأصلي لهذا كلّه هو الغفلة عن ذكر الخالق، الغفلة عن الواجب، الغفلة عن الموت، الغفلة عن القيامة؛ هذا ما يجعلهم يغيرون اتّجاههم مئة وثمانين درجة.

طبعاً، هناك من يشتبه. لا يمكن اعتبار الجميع مقصّرين. نحن رأينا كيف أنّ البعض قد جاءهم من أعطاهم أموالاً بعنوان هدية أو بعنوان تودّد وتقدير؛ فأخذوها منهم ولم يفهموا أنّ هذا اسمه رشوة. ما يجري في عالم الواقع يشبه بعضه بعضاً؛ لكنّ التفطّن إلى أن اسم هذا رشوة أو لا، هو المهم. أنت توافقت معه أن تنجز عملاً بناءً على رغبته، هو يأتي ويقبّل يدك ويدفع لك مالاً. حسناً، هذا اسمه رشوة؛ الرشوة الحرام هي هذه.

في مسائل الفتنة الأمر هكذا أيضاً. دخل البعض في هذه الفتنة وفي هذه المعمعة، ولم يفهموا أنّ هذا اسمه سعي للإطاحة بالنظام؛ لم يفهموا بأنّ هذه الفتنة التي قال عنها أمير المؤمنين: «فِي فِتَنٍ دَاسَتْهُمْ بِأَخْفَافِهَا، وَوَطِئَتْهُمْ

بأَظْلاَفِهَا، وَقَامَتْ عَلَى سَنَابِكِهَا»[1]، الفتنة تطحن وتزيل الذين يقعون تحت أقدامها. هؤلاء لم يفهموا بأن هذه فتنة. قال واحد كلمة وهم صاروا يكرّرونها. لذا لا ينبغي الحكم على الجميع بحكم واحد. حكم المعاند مختلف عن حكم الغافل. لكن الغافل أيضاً ينبغي تنبيهه.

أريد أن أقول لكم أيها الشباب؛ لكي تبنوا إيران الإسلامية، أي أن ترفعوا رأس أمّتكم ووطنكم وتاريخكم، أن تؤدّوا واجبكم بافتخار تجاه الإسلام ـ حيث أنّ من يبذل الجهد اليوم لرقيّ وإعزاز إيران الإسلامية، يكون قد قدّم خدمة لشعبه وتاريخه وكذلك يكون قد خدم الإسلام العزيز الذي هو سبيل النجاة للبشرية ـ فإنّ عليكم أن تكونوا يقظين، عليكم أن تكونوا أذكياء، عليكم أن تحضروا في الساحة، عليكم أن تجعلوا البصيرة محوراً لأعمالكم. حذار أن تبتلوا بعدم البصيرة.

اعرفوا العدوّ، لا تدعوا مظاهر العدوّ تخدعكم. النزعة المادية، الفكر المادي، الحضارة المادية كلّها أعداء البشرية وأعداؤكم أنتم. العالم الغربي قد وصل قبل قرنين أو ثلاثة قرون إلى العلم الأعلى والتقنية الأرقى وحصل بذلك على سبل تجميع الثروات وتكديسها. ظهرت المدارس والمذاهب الاجتماعية المختلفة، أفكار الفلسفات الاجتماعية المتعدّدة ـ الليبرالية القائمة على الفكر الإنسني (أصالة محورية الإنسان)، الفكر الديمقراطي وما شابه ـ كان هدف هؤلاء أو هدف الذين اتّبعوا هذه الأفكار إيصال البشرية إلى الراحة والسعادة

(1) نهج البلاغة، الخطبة: 3.

والرفاهية؛ لكن ما حصل في الحقيقة كان العكس. فالبشر تحت ظلال الأفكار الإنسنية (محورية الإنسان) وأنظمتها، لم تحقّقوا إنسانيتهم ولم يصلوا إلى الراحة، ليس هذا فحسب؛ بل الأدهى من ذلك أنّ أكثر الحروب والمجازر وأسوأ الجرائم وأبشع أعمال الإنسان ضدّ الإنسان قد وقعت في هذا العصر.

الذين كانوا الأكثر تطوّراً في هذا الميدان كانوا هم الأسوأ! بالأمس قرأت في إحدى الصحف خبراً عن مصادر أمريكية بأن أمريكا قد قامت بثمانين انقلاباً في جميع أنحاء الدنيا وذلك ما بين الأربعينيات إلى التسعينيات من القرن الماضي ـ أي خلال خمسين عاماً! انظروا إلى الذين وصلوا إلى قمم التقنية والثروة والسّلاح والتجهيزات و...الخ، لتروا مستوى همجيتهم. الإجرام وقتل الإنسان بالنسبة لهم أمرٌ عادي؛ كما يعبّرون هم «القتل ببرودة دم»! في الأدبيات الغربية يقال: «فلان قتل إنساناً ببرودة دم»! هذه علامة منتهى القسوة. ليس فقط في أفغانستان والعراق وفي تلك المناطق المحتلّة من قبلهم وغزوها بقوّة السلاح، بل حتى داخل بلدانهم ومجتمعاتهم نفسها فالأمر كذلك. راجعوا آدابهم التي تعبّر عن حقائق حياتهم، فنونهم، آدابهم تشير إلى ما يحصل في حياتهم. قتل الإنسان بالنسبة إليهم هو عمل في غاية السهولة. من ناحية أخرى، يلاحظ، في مجتمعاتهم وفي أوساط شبابهم، حالات الاكتئاب واليأس من الحياة والتمرّد على أعراف الحياة الاجتماعية. أنواع لباسهم وطرق تبرّجهم غالباً تدلّ بأن الشاب قد ملّ من الجوّ المسيطر عليه. هذا نتيجة تجربة المذاهب والأنظمة التي أوجدها الغربيون. سبب جميع هذه الظواهر هو أنّهم قد ابتعدوا عن الله والدين والمعنويات. لذلك فإن سلوكهم هو عدوّ للبشرية.

أنتم اليوم تتحرّكون في النقطة المقابلة لهم. أنتم تريدون أن تحصلوا على العلم عبر الفكر الإلهي؛ أنتم تريدون أن تجمعوا بين الإمكانات الطبيعية والإمكانات الإنسانية من أجل الخير المادي والمعنوي لشعبكم وللشعوب جميعاً، من أجل خير البشرية مادياً ومعنوياً. وجهتكم وجهة إلهية؛ إن سعيكم سينجح ويتطوّر وينتصر؛ إنّ هذه الحركة هي النقطة المقابلة المواجهة لحركة قرنين أو ثلاثة قرون من الانحراف الذي قام به الغرب. هذه الحركة هي حركة مباركة وستستمر حتماً.

يجب على الشباب الإيراني المسلم أن يعدّ نفسه؛ أن يجهّز نفسه؛ في طريق التقدّم، أن يتوكل على الله تعالى؛ أن يستعين بالله؛ أن يسير إلى الأمام ببصيرة؛ وعندها فإنه سيجد العدّة والعتاد المناسبين لمواجهة الأساليب الخاطئة الحاكمة والرائجة في الدنيا. وإن شاء الله فإنه سيصل إلى جميع الأهداف والآمال التي حدّدها الإسلام وهذه الثورة.

والسّلام عليكم ورحمة الله وبركاته